

مقدمة

رحالة من الشرق والغرب

عشق الناس السفر والترحال منذ القدم . . سواء للبحث عن المجهول ، أو لمجرد المتعة . . أو حتى للثقافة وطلب المعرفة . . وهناك من يسافر وهو في عز الشباب طلبا للعلم والمعرفة . وهناك من يؤجل ذلك فلا يسافر إلا بعد أن يصل إلى سن الإحالة للمعاش ، فيتمتع بما جنت يده . فلا يسبح إلا بعد الستين ، مثل الأمريكان وشعوب شمال أوروبا . وشتان بين من يسبح ويسافر طلبا للمعرفة . . ومن يسافر طلبا للمتعة ، ويا لله حسن الختام !! ثم هناك من يسافر من أجل أهداف عسكرية أو سياسية أو اقتصادية . . أى يسخر رحلته لتحقيق هدف سياسى ، وإن لبست ثوبا ثقافيا . .

أى علينا أن نفرق بين الرحالة للمتعة ، والرحالة للثقافة ، والرحالة للسياسة . . ولقد عرف الشرق كل هؤلاء !!

●● عرف الرحالة الذين سخروا رحلاتهم لتحقيق أغراض سياسية عليا لبلادهم ، وفي مقدمة هؤلاء لورانس العرب الذى خدم أغراض بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية فى الربع الأول من القرن العشرين ، وعبد الله فىلبي الذى طاف ببلاد العرب ليجمع المعلومات كرحالة بينما كان فى حقيقة الأمر من رجال السياسة والمخابرات الإنجليز ، ثم ولفريد تيسيجر الإنجليزى الذى ولد وعاش طفولته فى الحبشة عندما كان والده سفيرا لبريطانيا هناك ، ثم عمل وطاف بالسودان وليبيا وجبال هندوكوش وجبال كردستان ومستنقعات العراق ، ثم طاف بجنوب جزيرة العرب . وكان أشجع من عبر صحراء الربع الخالى وكتب واحدا من أفضل الكتب عن هذه الرحلة ، وأطلق عليه اسم : «رمال العرب» قبل أن يتتصف القرن العشرين .

●● وعرف الذين عشقوا الحضارة المصرية القديمة فغاصوا فيها وأخرجوا للمعرفة وللمكتبة أروع المؤلفات عن هذه الحضارة ، من أمثال : جيمس هنرى برستيد ودريوتون وغيرهما .

ولكن التاريخ القديم يحمل ويحفظ لنا أسماء عدد من الرحالة الذين زاروا مصر - ضمن رحلاتهم في بلاد العالم القديم - وتركوا للمعرفة نتاج رحلاتهم هذه لتروى لنا كيف كانت حياة المصريين وأهل الشرق القديم . وفي مقدمة هؤلاء نجد ناصر خسرو الشاعر والرحالة الفارسي الذى زار مصر ضمن رحلاته للعالم الإسلامى وسجل زيارته في كتابه القيم «سفر نامه» ، وأقام بمصر بين عامى ١٠٤٧ و ١٠٥٠ م خلال الحكم الفاطمى لها ، وبالذات خلال حكم الخليفة المستنصر بالله . وعاش ناصر خسرو حتى مات عن ٨٥ عاما في عام ١٠٨٨ م .

وهناك الرحالة عبد اللطيف البغدادي الذى ولد في بغداد عام ١١٦٢ م ، ودرس الطب والفلسفة ، وكشف عن أخطاء جالينوس وقدم وصفا تفصيليا للطبيب المثالى وما يجب أن يتحلى به ، إلا أن كتابه «الإفادة والاعتبار» يعتبر واحدا من أهم الكتب التى تصف الحياة في مصر في أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، بعد أن زار مصر وتعمق في دراسة طبيعة الحياة والناس .

●● ولكن تظل هناك رحلتان هما الأشهر في تاريخ أدب الرحلات العالمى . الأولى غربية : بطلها ماركو بولو ، والثانية شرقية : بطلها ابن بطوطة . ليس لأن كلاهما زار الصين والتقى بأباطرتها وعاش في ربوعها . . ولكن لأن كلاهما سجلا كل ما شاهدها في الذهاب والإياب . . والإقامة . .

ومارك بولو أو ماركو بولو سافر مع عمه ووالده إلى الصين عام ١٢٧١ م ، ووصلها بعد ٤ سنوات . . ولكن سبقت هذه الرحلة رحلة قام بها تاجران من البندقية هما مافيو ونيقولا بولو . . غادرا القسطنطينية عام ١٢٦٠ م إلى آسيا الصغرى بحثا عن التوابل والبضائع الثمينة حتى وصلا إلى بلاط كوبلاى خان ملك التتار في عاصمته كامبالوك وهو الاسم القديم لمدينة بكين ، ووصلها عام ١٢٦٤ م وكانا بذلك أول أوروبيين يريان

تلك البقاع . وبعد سنتين من عودتهما إلى إيطاليا قاما برحلة ثانية إلى الشرق ، وكانا يصطحبان اثنين من الرهبان والصبي ماركو الصغير ابن نيقولا بولو الذي كان في السابعة عشرة من عمره . .

وصمد ماركو لمتاعب الطريق وإن عاد الرهبان لعجزهما واستقبلهم كوبلاي خان بترحاب كبير ، وأعجب بشخصية ماركو الصغير وجعله مستشاره بل عينه واليا على إحدى المقاطعات . . وسافر البنادقة الثلاثة من الصين إلى إيران في رحلة استمرت ٤ سنوات ونصف السنة . وعاد هؤلاء الرحالة إلى البندقية عام ١٢٩٥ م ، بعد أن غابوا عنها ٢٤ سنة ، بعد أن زار ماركو بولو عددا كبيرا من المناطق التي تضم إمبراطورية التتار .

ثم انطلق ماركو في رحلة جديدة . ولكنه اشترك في الحرب مع البندقية ضد جنوة فوقع أسيرا في معركة بحرية . . وفي الأسر راح يملأ أخبار مغامراته على نزيل معه في السجن اسمه روستيشللو من مدينة بيزا . وما إن أطلق سراح السجين حتى بادر إلى نسخ ما أملاه عليه ماركو فطغت شهرته الآفاق . . وظل هذا الكتاب على مدى قرون المصنف الوحيد الذي يصف واقعية البلدان النائية في الشرق الأقصى ، وفي مقدمتها الصين . .

وقد ولد ماركو بولو عام ١٢٥٤ م وتوفي عام ١٣٢٤ م ، أي عاش ٧٠ عاما أمضى أكثر من نصفها في حياته ورحلاته في الصين وما جاورها من بلدان .

●● أما الثاني - ابن بطوطة - فهو محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المولود في طنجة ببلاد مراكش عام ١٣٠٤ م وخرج من طنجة وعمره ٢٢ عاما قاصدا الحجاز للحج ، فمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب إلى مصر . . ومنها إلى عيذاب على البحر الأحمر مارا بالصعيد ليعبر البحر الأحمر ولكنه لم يعبره وعاد إلى الفسطاط ، ثم رحل إلى فلسطين ولبنان وسوريا والحجاز حيث حج للمرة الأولى . ومن مكة سافر إلى العراق وبلاد العجم والأناضول ، ثم عاد إلى مكة مرة ثانية وظل بها لمدة عامين وغادرها إلى اليمن وعبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقيا ، ثم عاد إلى جنوب جزيرة

العرب حتى الخليج العربي ، فزار عُمان والبحرين والإحساء ، ثم عاد إلى مكة ليحج للمرة الثالثة ، ثم خرج إلى الهند مارا بخوارزم وخراسان وتركستان وأفغانستان إلى السند . وهناك تولى القضاء في دلهى للسلطان محمد شاه . وعندما أرسل السلطان وفدا إلى ملك الصين خرج معه ابن بطوطة . . وفي عودته مر بجزيرة سرنديب وجزائر الهند والصين ، ثم عاد إلى بلاد العرب عن طريق سومطرة عام ١٣٤٧ م ، فزار العجم والعراق وسوريا وفلسطين وعاد إلى مكة ليحج للمرة الرابعة . . ثم عاد إلى موطنه مارا بمصر وتونس والجزائر ومراكش ووصل إلى فاس عام ١٣٤٩ م . ثم استأنف رحلته إلى الأندلس حيث غرناطة وعاد إلى فاس ، ولكن عاوده الحنين إلى عالم السفر والرحلات فسافر إلى السودان ومالى وتمبكتو وعاد إلى فاس مرة أخرى .

وقد أملى ابن بطوطة رحلاته على الأديب محمد بن جزى الكلبي فانتهى من كتابتها عام ١٣٥٦ م ، وأطلق عليها اسم «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» . وكشفت هذه الرحلات عن أسرار كثيرة من البلاد التى زارها ، فهو أول من ذكر شيئا عن استعمال أوراق النقد في الصين ، وكان فعلا الرحالة الأمين كما وصفه المستشرق الكبير «دوزى» .

●● ووصف ابن بطوطة مصر وصفا جميلا : هى أم البلاد وقرارة فرعون ذى الأوتاد . . ذات الأقاليم العريضة والبلاد المنتهية في كثرة العمارة المتباهية في الحسن والنضارة . مجمع الوارد والصادر ، ومحط رحل الضعيف والقادر . وبها ما شئت من عالم وجاهل ، وجاد وهازل ، وحليم وسفيه ، ووضع ونيبه ، وشريف ومشروف ، ومنكر ومعروف . . تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها . . شبابها يجد على طول العهد . . قهرت قاهرتها الأمم ، وتملكت ملوكها نواصى العرب والعجم (ومما ذكره عن الحالة الاجتماعية في مصر قوله : إن بمصر من السقائين على الجمال اثنى عشر ألف سقاء . وإن بها ثلاثين ألف مكار . وإن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية ، تمر صاعدة إلى الصعيد . ومنحدرة إلى الإسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق . . وقال في وصف طباع المصريين : «وأهل مصر ذوو طرب وسرور وهو» .

ووصف استخدام الصين لأوراق النقد ، فقال : وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم . وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً . وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد « ورق » كل قطعة بقدر الكف . . مطبوعة بطابع السلطان ، بينما في السودان يتصارفون بالملح . كما نتصارف بالذهب والفضة ، ويقطعون الملح قطعاً ويتبايعون به . . !!

« وتحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ظلت موضع اهتمام المستشرقين والباحثين فترة طويلة وعلقوا عليها ونقلوا بعضها إلى اللاتينية ونقلها «لى» إلى الإنجليزية وطبعت في لندن عام ١٨٢٩ م ونقلها ديفر يمرى و سنكونيتى إلى الفرنسية وطبعت في باريس عام ١٨٥٣ م وعام ١٨٥٩ م في خمسة مجلدات . وترجمها مزيك إلى الألمانية وطبعت عام ١٩١٢ م ولها ترجمة تركية اسمها «تقديم وقائع» وطبعت في مصر في مطبعة وادى النيل عام ١٨٧١ م ، ثم في المطبعة الخيرية عام ١٩٠٤ م . . وتوفى ابن بطوطة في مراكش عام ١٣٧٨م في نحو الرابعة والسبعين . ومازالت في مكتبة باريس قسم من النسخة الخطية النفيسة بخط يد ابن جزى نفسه . .

●● ومن أشهر الرحالة المسلمين يأتي ابن جبير الذى ولد في أول سبتمبر ١١٤٥م في مدينة بلنسية بالأندلس . وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى البلنسى ، وأشهر كتبه «تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار» كتبه عام ١١٨٦ م وتداولته الأيدى مخطوطاً في الشرق والغرب حتى قام على نشره وطبعه ويليام رايت الإنجليزى عام ١٨٥٢ م وراجعته بعده الهولندى دى خويه ١٩٠٧ م . وقد عمل ابن جبير مع أمير غرناطة أبو سعيد بن بحر المؤمن ملك الموحدين في وظيفة كاتم سره ، فأقام في غرناطة وحج في سفرة استمرت سنتين ، ودوّن مشاهداته وملاحظاته في يوميات هى المعروفة برحلة ابن جبير، فجاءت وافية لجميع ما شاهده وقاموساً لمصطلح عهده وثبتاً بأسماء البارزين من علماء المسلمين وملوكهم في أواخر القرن السادس الهجرى .

ترك ابن جبير غرناطة مع صديق اسمه أحمد بن حسان يوم الخميس ٣ فبراير ١١٨٣م إلى جزيرة الطريف «الطرف الأغر» ، وعبر البحر إلى سبتة فوجد سفينة مقلعة

إلى الإسكندرية، فركبها يوم ٢٤ فبراير وتعرضت لعواصف شديدة في سردينيا، ثم أقلعت إلى صقلية، ثم كريت ليصل إلى الإسكندرية يوم ٢٦ مارس، أى استغرقت الرحلة حوالى شهر.

وزار فنار الإسكندرية. وصلى بالمسجد المشيد في أعلاه وشاهد بقايا العمائر البطلمية والرومانية ولاحظ كثرة مساجد الإسكندرية. ورحل ابن جبير إلى القاهرة ونزل بفندق قرب جامع عمرو وزار مسجد الحسين والمدرسة الناصرية وشاهد القلعة ولم يكن قد اكتمل بناؤها وقناطر المياه قرب الجيزة على امتداد طريق الإسكندرية الصحراوى. وزار الأهرام وسمى أبو الهول: أبو الأهوال ثم سافر في النيل إلى قوص مروراً بمدن الصعيد دون أن ينزلها ومن قوص إلى عيذاب حيث الطريق الدولى لتجارة البهار والتوابل، ووصل إلى عيذاب وعبر البحر الأحمر إلى جده، ثم إلى مكة ليصلها في أغسطس ١١٨٣م، ووصف المسجد الحرام ومكة في ٧٠ صفحة فجاء وثيقة أثرية لتلك البقاع وأحوالها في أواخر القرن الثانى عشر الميلادى.

وبدلاً من أن يعود إلى بلده سار إلى العراق، ثم إلى المدائن عاصمة بلاد الفرس قبل الإسلام. ومن العراق سافر إلى دمشق، ثم إلى عكا ليركب البحر عائداً إلى بلاده، واستغرقت الرحلة البحرية حوالى شهرين مر فيها بجزيرة صقلية فوصفها وصفاً دقيقاً، وعاد إلى غرناطة يوم ٢٥ إبريل ١١٨٤م.

ولكن ابن جبير سرعان ما عاد إلى الشرق في رحلة ثانية بعد أن سمع أن صلاح الدين الأيوبي استولى على بيت المقدس من الصليبيين عام ١١٨٧م، فسافر من غرناطة وانتقل إلى ملقة وسبتة وفاس. ولكنه سرعان ما عاد إلى الشرق مرة ثالثة حسب ما جاء في كتاب الإحاطة..

وعندما ماتت زوجته رحل إلى مكة، ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم إلى الإسكندرية فأقام فيها حتى توفي عام ١٢١٧م.

وطبعت رحلة ابن جبير للمرة الأولى في ليدن عام ١٨٥٢م مع مقدمة للمستشرق ويليام رايت، ثم أعيد طبعها في لندن عام ١٩٠٧م بعد أن نقحها دى خويه. ونشرت

بالعربية أوائل القرن العشرين ، ثم في أوائل النصف الثاني طبعت بمطبعة مصر
بالفجالة عام ١٩٥٥ م .

ونصل إلى نوع آخر من الرحالة الذين أثروا علم الجغرافيا ، وفي مقدمة هؤلاء
الإدريسي الذي ولد عام ١٠٩٩ م وتوفي عام ١١٨٠ م ، وهو رحالة جاب الآفاق . تعلم
في قرطبة بالأندلس وأغرم بالجغرافيا وزار بلدانا عديدة وترك لنا وصفا شائقا لمعالمها
ومدنها . . زار القسطنطينية وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والأندلس وعبر البحر إلى
إنجلترا بعد أن زار فرنسا ، ثم عاد إلى صقلية وصنع ملكها روجر كرة أرضية من الفضة
كتب عليها بالعربية كل ما كان يعرفه عن البلدان ، ولكن هذه الكرة فقدت وكان وزنها
٤٠٠ رطل .

وسجل الإدريسي ما شاهده في كتاب أطلق عليه اسم «نزهة المشتاق في أخبار
الآفاق» وكان هذا الكتاب عوننا للجغرافيين في توسيع معارفهم ، كما كان عوننا
للمستكشفين البرتغاليين في القرن الخامس عشر .

وقسم الإدريسي الأرض إلى سبعة أقاليم أو مناطق ، ثم قسم كل إقليم إلى ١١
قطرا ، وقاس أبعادها بالميل والفرسخ ، غير أنه لم يفكر في خطوط الطول والعرض . كما
وصف نهر النيل في بلاد النوبة وقال عنه : «عرض النيل في بلاد النوبة ميل واحد
وعرضه في مصر (القاهرة) ثلث ميل . وفيه التمساح والحوت المسمى بالخنزير وهو ذو
خرطوم أكبر من الجاموس يخرج من النهر فيأكل الزرع ويرجع إلى النيل» . ووصف
أسماك النيل ، ووصف مدينة الفيوم ، وإن قال : إن هواءها غير نقى وبه وباء ،
ووصف الفواكه في السودان وحيواناته . واهتم بالجغرافيا البشرية وعادات الأهالي
وتقاليدهم وملابسهم .

ومن أبرز أعماله الخريطة التي أعدها للعالم : عبارة عن كرة يحيط بها البحر المحيط .
وأبرز منابع النيل ومساره والحجاز وبحر الخزر «قزوين» وأوروبا والبحر المتوسط . كما
رسم خريطة أخرى لشمال إفريقيا من شرق البحر المتوسط ومصر إلى مراكش غربا
والأندلس شمالا وأوروبا .

وقد وجدت من كتابه نسخة خطية بمكتبة باريس عام ١٨٢٠م فترجمها جوبرت إلى الفرنسية ونشرت بين عامي ١٨٣٦ و ١٨٤٠ م ، وترجمه يوحنا الحصري وجبرائيل الصهيوني إلى اللاتينية ونشراه مع النسخة العربية . وهاتان النسختان المنشورتان اختصارا لنسخة موجودة في مكتبة الأسكوريال في إسبانيا . وطبع الكتاب في مدريد عام ١٨٨١ م ومعه ترجمة إسبانية للأستاذ سافورا . وترجم اميدى جوبار إلى الفرنسية جغرافية الشريف الإدريسي عن النسخة الموجودة في مكتبة باريس وطبعها بين عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٩ م ، كما طبع في ليبزيغ عام ١٨٢٨ م .

وقال المرحوم أحمد زكى باشا في مقال نشره بالمؤيد في فبراير ١٩١٢م : إنه عشر على ٤ نسخ خطية من هذا الكتاب ، ولم يكن في دار الكتب الخديوية منه إلا الجزء الأول مكتوبا بخط جميل متضمنا الخرائط . وجاء في مقدمة هذه النسخ التي عثر عليها أحمد زكى باشا أن الإدريسي ألف هذا الكتاب مصورا لأشكال الكرة الأرضية وصورها .

●● أما ابن حوقل فهو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصل . وهو أحد الرحالة المشهورين في الإسلام . كان تاجرا في الموصل . سافر من بغداد وطاف البلاد الإسلامية ووصفها ، كما وصف بلاد البربر وصفا خلافا ، وجال ببلاد الأندلس ، ووصل إلى صقلية والعراق وفارس وغيرها ، ودامت رحلاته ٢٨ عاما في القرن الرابع للهجرة . وألف في رحلاته كتابا اسمه «المسالك والممالك» الذي ترجم إلى الإنجليزية وطبع في لندن عام ١٨٠٠ م وفي باريس عام ١٨٤٢ م . وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب في أوكسفورد ونسخة أخرى في مكتبة باريس .

وقد اعتمد ابن حوقل في كتابه على ما عاين وما حكى له ، ولكن دون تثبيت أو فحص ، فوقع في كثير من الأخطاء والأوهام .

وذكر ابن حوقل الأقاليم والبلدان وطبائع أهلها وخواص البلاد ، وذكر الأنهار الكبار والبحار ووصف المدن والأقاليم . وقد زار مصر حتى إنه وصف بغالها وحميرها ووصف منارة الإسكندرية ، وقال : إنها صنعت لرصد الفلك . ومن أبرع ما وصفه ، وصفه لجزيرة صقلية . ووصف الشام والجزيرة والعراق وفلسطين وقبرص . وهو أفضل من وصف العراق بمدنه وأنهاره . .

●● ولكننا لا يمكن أن نمضى دون أن نذكر أشهر رحالة في العالم القديم . . إنه هيرودوت الذى ولد عام ٤٨٤ ق . م في هاليكارناسوس في آسيا الصغرى . فهو أكبر رحالة في عصر ما قبل الميلاد . . سافر كثيرا في أوروبا وآسيا وزار مصر عام ٤٥٠ ق . م وطاف بها حتى وصل إلى أسوان . . ويصفونه بأنه أبو التاريخ . وأشهر أعماله وصفه أسباب ونتائج الحرب الإغريقية - الفارسية بين عامى ٤٩٩ و ٤٧٩ ق . م . وقد جمع القصص التى سمعها خلال رحلاته في العالم القديم . وضمّن رحلاته في كتاب خصص الجزء الثانى فيه لمصر . ويعتبر بحق - كما وصفه شيشرون - أبو التاريخ ، لأنه أول من عالج التاريخ باعتباره موضوع بحث علمى ، ولأنه هو الذى خلق فلسفة التاريخ . وهو أول من وصف مصر من الرحالة الأجانب الذين شدتهم حضارة نهر النيل .

●● وعلينا أن نفرق بين الرحالة والمستكشفين . ومن الأخيرين : ديفيد ليفنجستون - ١٨١٣ : ١٨٧٣ م - التبشيرى البريطانى الذى اكتشف مجاهل نهر الزمبىزى والبحيرات الكبرى في شرق إفريقيا . وبروس الاسكتلندى « ١٧٣٠ - ١٧٩٤ م » الذى اكتشف مجاهل إفريقيا . وساهم في كشف منابع النيل الأزرق ، وزار مصر وأصدر كتاب : رحلات لكشف منابع النيل ١٧٦٨ - ١٧٧٣ م .

وبراون ١٧٦٨ - ١٨١٣ م الإنجليزى الذى سافر إلى دارفور عام ١٧٩٣ م ، وإلى الحبشة . ثم أصدر كتابا بعنوان : « رحلات في إفريقيا ومصر وسورية من عام ١٧٩٢ - ١٧٩٨ م » .

وستانلى ١٨٤١ - ١٩٠٤ م الذى يعتبر أشهر المستكشفين الذين فتحوا أبواب وسط إفريقيا . ومن أهم مؤلفاته « إفريقيا السوداء » وشارك ليفنجستون في اكتشاف شمال بحيرة تنجانيقا ، وتتبع مجرى نهر الكونغو واكتشف بحيرة إدوارد عام ١٨٨٨ م وقام بإحدى رحلاته تحت رعاية ملك بلجيكا فأطلق اسمه على مدينة « ستانلى فيل » في الكونغو ، وفتح شرق إفريقيا للتجارة البريطانية .

ويرتون وسبيك اللذان اكتشفا بحيرة تنجانيقا ، ثم بحيرة فيكتوريا ليتأكد العالم أنه منبع النيل الرئيسى .

وصمويل بيكر ١٨٢١ - ١٨٩٣ م وهو الذى اكتشف منابع النيل . حيث اكتشف نهر عطبرة وبعض روافد النيل . . وهو الذى أكد أن طمى النيل يأتى من الحبشة ووصل إلى الخرطوم . ثم واصل طريقه ليكمل الرحلة إلى النيل الأبيض ويكتشف بحيرة ألبرت عام ١٨٦٤ م لحساب مصر ورفع علم مصر أيام الخديو إسماعيل على هذه المناطق . وتأكد أن النيل يخرج من بحيرة ألبرت نيانزا وأصدر كتابه الشهير : ألبرت نيانزا حوض النيل العظيم . وكشف منابع النيل عام ١٨٦٦ م ، وفى العام التالى أصدر كتابه : روافد النيل الحبشية . وأوفده الخديو إسماعيل إلى أقاليم النيل الاستوائية وقاد بعثة عسكرية للقضاء على تجارة الرقيق ، وفتح الباب للتجارة والحضارة مع ١٧٠٠ جندى مصرى . . ومنحه الخديو إسماعيل لقب باشا ولواء فى الجيش المصرى ، وعينه الخديو إسماعيل حاكما عاما لمدة ٤ سنوات على الأقاليم الجديدة فى منابع النيل ، وهو الإنجليزى الأصل .

●● وفى العصر الحديث زاد الاهتمام بأدب الرحلات . وأصبح العالم بين اثنين : واحد قادر على السياحة والسفر ، ويملك القدرة على العطاء . . وآخر لا يستطيع السفر ، ولكنه يلتهم كل ما يكتبه النوع الأول . من هنا وجدنا كتب الرحالة وأدب الرحلات أكثر الكتب توزيعا . .

وقد حظيت كتب الرحلات إلى أوروبا وأمريكا بالاهتمام الأكبر بحكم أننا نعيش عصر الحضارة الغربية . . وبحكم أننا نتجه بعيوننا وقلوبنا نحو الغرب . ولكن ماذا عن الشرق . . ماذا عن آخر قارة تنضم لعالمنا ألا وهى استراليا . . تلك هى موضوع الجزء الأكبر من هذا الكتاب هى وبعض مناطق آسيا المجهولة ، مثل : ماليزيا وسنغافورة وجزر الهند الشرقية .

وإذا كنا - فى هذا الكتاب - نقدم سياحة فى أمريكا التى لم يعرفها العالم إلا منذ خمسة قرون لا أكثر . . فإننا نقدم سياحة فى جنوب آسيا التى كانت يوما الكنز الذى يسعى إليه العالم . .

●● ومن أقصى غرب الكرة الأرضية - أمريكا - إلى أقصى مشرق الكرة الأرضية -
أستراليا - نطوف ونسمع ونرى ونعيش ونقدم حياة كلها تناقض من خلال مشاهدة
حقيقية وانغماس كامل في أعماق أبناء تلك البلاد . .

تعالوا معنا نطوف ونرى كيف تمضى الحياة في أمريكا حيث بطش القوة والمال
والجاه . . ثم نظير إلى أستراليا آخر ما اكتشفه العالم في تلك القارة الجزيرة التي جعلوا
منها سجنا كبيرا يتخلصوا فيه من المجرمين الذين دوّخوا رجال الأمن في إنجلترا .
وبين أمريكا وأستراليا نمضى في رحلتنا عبر هذا الكتاب الذى بين أيديكم .

القاهرة في ٣ / ٥ / ٢٠٠١ م

عباس الطرابيلى